

أضواء البيان

@ 487 المذكورين في قوله : { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ { ، وقوله :
{ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } قاله القرطبي . وإِ تعالى أعلم . قوله
تعالى : { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَا يَمِمْدُ لَهُ الرِّحْمَانُ مَدًّا }
حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } . في معنى هذه الآية
الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء ، وكلاهما يشهد له قرآن : .
الأول أن إِ جل وعلا أمر نبيه صلى إِ عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه
الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين . وإيضاح معناه : قل يا نبي إِ صلى إِ عليه
وسلم لهؤلاء المشركين الذين ادعوا أنهم خير منكم ، وأن الدليل على ذلك أنهم خير منكم
مقاماً وأحسن منكم ندياً من كان منا ومنكم في الضلالة أي الكفر والضلال عن طريق الحق
فليمدد له الرحمن مداً ، أي فأمهله الرحمن إمهالاً فيما هو فيه حتى يستدرجه بالإمهال
ويموت على ذلك ولا يرجع عنه ، بل يستمر على ذلك حتى يرى ما يوعده إِ ، وهو : إما عذاب
في الدنيا بأيدي المسلمين ، كقوله { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ }
{ أو بغير ذلك . وإما عذاب الآخرة إن ماتوا وهم على ذلك الكفر . وعلى ذلك التفسير فصيغة
الطلب المدلول عليها باللام في قوله { فَلَا يَمِمْدُ لَهُ } على بابها . وعليه فهي لام الدعاء
بالإمهال في الضلال على الضال من الفريقين ، حتى يرى ما يوعده من الشر وهو على أقبح حال
من الكفر والضلال . واقتصر على هذا التفسير ابن كثير وابن جرير ، وهو الظاهر من صيغة
الطلب في قوله { فَلَا يَمِمْدُ لَهُ } ونظير هذا المعنى في القرآن قوله تعالى : { فَمَنْ
حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَرِسَاءَنَا وَرِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِّلْعَذِيبَةِ اللَّهِ عَلَي الْكَافِرِينَ } لأنه على ذلك
التفسير يكون في كلتا الآيتين دعاء بالشر على الضال من الطائفتين . وكذلك قوله تعالى في
اليهود : { فَتَمَذَّوْا أَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة والجمعة)
عند من يقول : إن المراد بالتمني الدعاء بالموت على الكاذبين من الطائفتين ، وهو
اختيار ابن كثير . وظاهر الآية لا يساعد عليه . .
الوجه الثاني أن صيغة الطلب في قوله { فَلَا يَمِمْدُ لَهُ } يراد بها الإخبار عن سنة إِ في
الضالين . وعليه فالمعنى : أن إِ أجرى العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه

